هل يشكل يهود العالم شعباً؟

شرحت في الفصول السابقة ما يفيد أن اليهودية ديانة مقتبسة من الديانات والثقافات المصرية والكنعانية والآرامية والبابلية والفارسية. وثبت أثرياً وعلمياً أن الذين اتبعوا اليهودية كديانة لم يتركوا في فلسطين أو غيرها أي أثر أو ثقافة أو حضارة خاصة بهم، بل إن عاداتهم وثقافتهم قد اقتبسوها وتعلموها من الشعوب التي عاشوا بينها وعاصروها، ولم يستطيعوا تشكيل أي كيان سياسي قومي خاص بهم، ولم يستطيعوا أيضاً المحافظة عليه منعزلاً، ويعود ذلك إلى المفهوم الثابت من أن اليهودية كغيرها من الديانات الأخرى التي طرأت وتغيرت باستمرار في ظل العرقيات والإثنيات المختلفة التي سبقت هذه الأديان تاريخياً.

فالديانة، وأي ديانة كانت، عرضة للتبديل والتغيير والتطوير أيضاً، ولا ترقى بالنهاية لتوفير الشروط لتشكيل قومية أو وطن خاص بها يتمتع بمقومات الشعب أو الأمة التي من شروط قيامها وحدة الأرض واللغة والتاريخ والعادات والتقاليد والتراث؛ هذه الأسس الثابتة لمواصفات تشكيل الشعب والأمة.

واليهود، كأصحاب ديانة معتنقة، كانوا يتحدثون بالكنعانية والآرامية الغربية (بلاد الرافدين وصحراء الجزيرة العربية الشمالية الشرقية)، ومن ثم بالعبرية المشتقة من الآرامية العربية، حتى إن النبي موسى (صلى الله عليه وسلم) كان يحتاج إلى مترجم ليتفاهم مع بني إسراءيل. وأول ما كتبت التوراة كتبت بالآرامية، وحتى تلمودهم (التلمود الفلسطيني) كتب بالآرامية، ثم كتب لاحقاً بالعبرية، ما سمي بـ (التلمود البابلي) في فترة الجلاء في بابل. لا يملك اليهود أي تراث خاص بهم، وإذا كنا نتحدث عن يهود (أصحاب ديانة يهودية)، فإن الحديث عن بني إسراءيل سيبدو مختلفاً جداً، فالنبي يعقوب (صلى الله عليه وسلم)، وعلى حد قول التوراة، كان آرامياً، وهو من الموحدين بدين النبي إبراهيم (صلى الله عليه وسلم) ولم يكن وثنياً. تتحدث القصص القرآنية عن بني إسراءيل، وتميزهم بوضوح شديد عن اليهود، فيعقوب وأحفاده ليسوا هم

الجماعات والأعراق الأخرى والشعوب التي اعتنقت اليهودية، حيث بقيت تلك الجماعات والشعوب على مواطنها ولغاتها وأقوامها وعاشت بينها. وشأن هذه الشعوب التي اعتنقت الموسوية أو (اليهودية) في ذلك شأن الشعوب التي اعتنقت المسيحية والإسلام، اللذين انتشرا على مساحة واسعة من العالم وبين شعوب وأمم مختلفة في ألوانها وأجناسها وألسنتها وتاريخها وأوطانها التي نشأت وعاشت في ظلها وفي مواطنها المختلفة.

وخلاصة القول إن اليهودية، وهي بالأصل الموسوية، لم تكن مخصصة ومقتصرة على العبرانيين أو المصريين أو الآراميين أو بني يعقوب وحدهم، فقد انتشرت بين الشعوب والأمم المختلفة في زمن وحدانيتها بمواجهة الوثنية، واعتنقتها كديانة توحيدية أمم كثيرة، منها العرب والفرس والبربر والترك والخزر والأسبان والأحباش وغيرهم. وعلى الرغم من اعتناقهم لها فقد حافظوا على انتمائهم القومي ولغاتهم وثقافتهم وتراثهم وولائهم لأوطانهم. ففي اليمن بقي يهود اليمن يمانيين، ويهود الحبشة أحباشاً، ويهود جبال البربر مغربيين، وفي كردستان أكراداً، وفي الجزيرة العربية والشام والعراق يهوداً عرباً.

لعل بعض الباحثين والمفكرين والكتّاب الذين نسبوا بني إسراءيل إلى الجزيرة العربية جنوباً، إنما استقوا أفكارهم وأبحاثهم نتيجة لازدهار العهد السليماني (النبي سليمان) (صلى الله علبه وسلم) عبر تفسير الرواية القرآنية لقصص سبأ وبلقيس. وفي الحقيقة لقد تهودت عدة قبائل عربية في أرض اليمن والحجاز، وتوضح ذلك سورة البروج في القرآن الكريم ﴿وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْبُرُوجِ ۝ وَالْيَوْمِ الْمَوْعُودِ ۝ وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ ۝ قُتِلَ أَصْحَابُ الْأُخْدُودِ ۝ النَّارِ ذَاتِ الْوَقُودِ ۝ إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ ۝ وَهُمْ عَلَى مَا يَفْعَلُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ ۝ وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلَّا أَن يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ ۝﴾[1]. القصة القرآنية التاريخية التي تتحدث عن الملك اليماني الحميري الذي اعتنق اليهودية وأجبر شعبه على اعتناقها. ولما اعتنق البعض من قومه (اليمنيين) النصرانية حاول إعادتهم لليهودية بالقوة، فأقام لهم محرقة ووضعهم فيها، ويقال إن الله قد رفع أرواحهم منهم قبل أن تمسهم نار محرقة الملك ذي النواس الحميري اليهودي اليماني، ورفعها إلى السماء. هذه الحادثة التي أعتقد أنها تكررت مرة أخرى بعد صلب اليهود للسيد المسيح (صلى الله علبه وسلم). أكان ذلك بالتشبيه لهم، كما في القرآن الكريم، أم بوفاته على الصليب جسداً وقيامه من بين الأموات وصعوده للخالق؟ وفي الحالتين كلتيهما كان هناك

١- القرآن الكريم سورة البروج الآيات 1-8.

تدخل للإله لإنقاذ نبيه وروحه من العصاة اليهود، وإن الجريمة التامة هنا إنجيلياً وقرآنياً!

ويشرح العلامة الإمام أبي الفداء الحافظ بن كثير الدمشقي في قصة الأخدود وحرق اليهود للنصارى في اليمن بقوله: (واستجمع أهل نجران على دين عبد الله بن التامر، وكان على ما جاء به عيسى ابن مريم من الإنجيل وحكمه، ثم أصابهم ما أصاب أهل دينهم من الأحزاب، فمن هنالك كان أصل دين النصرانية بنجران. قال ابن اسحاق: فهذا حديث محمد بن كعب وبعض أهل نجران عن عبد الله بن تامر، فالله أعلم أي ذلك كان. قال: فسار إليهم ذو النواس بجنده من (حمير)، فدعاهم لليهودية وخيّرهم بين ذلك أو القتل، فاختاروا القتل، فخدوا الأخدود وحرق بالنار وقتل بالسيف، فمثَّل بهم، فقتل قريباً من عشرين ألفاً، ففي ذي نواس وجنده أنزل الله على رسوله ﴿قُتِلَ أَصْحَابُ الْأُخْدُودِ ۝ النَّارِ ذَاتِ الْوَقُودِ ۝﴾[1]»[2].

تهودت في الجزيرة العربية الكثير من القبائل العربية، فبقيت عربية على ديانتها اليهودية: كبني النضير وقريضة والقينقاع، وهناك يهود بني النجار وبني الأوس وثعلبة وبني عوف، وغيرهم من بطون القبائل العربية. وثبت أن كثيراً من أبناء هذه القبائل قد ارتحلت إلى بلاد الشام، ولا سيما لفلسطين، طلباً للتجارة والزراعة والعمل، وبعضها عقاباً على تآمرها على النبي محمد (صلى الله عليه وسلم في غزوة الخندق، واستقرت بالشام. وما إن ظهرت المسيحية والإسلام، حتى اتّخذ بعضهم منها ديانات بديلة لليهودية، وهم القدامى، وبعضهم الآخر بقي على يهوديته التي اعتنقها قبل المسيحية والإسلام.

كانت المسيحية واليهودية تتنافسان وبشدة على بث الدعوة والتوحيد في جزيرة العرب. وكان الراهب المسيحي ورقة بن نوفل جليساً للرسول محمد (صلى الله عليه وسلم، وأول من تقبل دعوته من النصارى العرب.

كما إن العدد الأكبر من بني إسرائيل والكنعانيين والعموريين هم ممن استوطنوا دلتا النيل المصرية شرقاً وغرباً، ولم يخرجوا مع أصحاب موسى ، كما ذكرت في فصل قصة الخروج، فاختلطوا مع المصريين والليبيين والبربر المغاربة في زمن الوثنية، واستطاعوا نقل هذه الديانة إلى بلاد المغرب العربي، ومنها إلى أسبانيا وأوروبا الغربية، فيما استطاع يهود إيران وكردستان نشر

١- القرآن الكريم سورة البروج الآيات 4-5.
٢- ابن كثير (البداية والنهاية) ج3 ص 15.

اليهودية أيضاً في محيط بحر قزوين (بحر الخزر)، حيث اعتنق الخزريون اليهودية بديلاً عن الوثنية. ومن هناك انتشرت اليهودية في أورآسيا في البلاد الروسية والبلغارية وأوروبة الشرقية، لا سيما بعد تدمير أمير كييف الروسي لمملكة خازاريا الواسعة، حيث هاجر الكثير من الرعايا الخزريين المعتنقين لليهودية في القرن السابع الميلادي باتجاه أوروبا الشرقية وإلى السهوب النمساوية والألمانية ابتداءً من القرن التاسع الميلادي.

لا أحد يمتلك فكراً حراً مستنيراً يستطيع القبول بالادّعاء الصهيوني العنصري من أن الأقوام الخزرية الأوراسية والأوروبية الغربية والأفريقية والآسيوية تشكل شعباً أو أمة واحدة يهودية وصهيونية!

هل بإمكان يهود اليمن والمغرب والعراق وخازاريا وأوروبا الشرقية والغربية ويهود الحبشة الذين التزموا بالديانة اليهودية، أن يعتبروا أنفسهم ساميين منتمين لبني إسراءيل وأحفاداً ليعقوب وإسحق وموسى؟ هل هم يهود بالانتماء العرقي أو القومي؟ أم أصبحوا يهوداً بحكم إيمانهم الكتابي والديانة الهدائية؟

وهل كل يهود العالم الذين ذكرنا جنسياتهم ومواطنهم وأصولهم واختلاف تواريخ اعتناقهم لليهودية كديانة، والذين يعيشون في أوطانهم، يمكن اعتبارهم (يهود الشتات)، وتتوجب عودتهم إلى فلسطين ليشملهم قانون حق العودة الإسرائيلي في وقت يمنع فيه الفلسطينيون الحقيقيون من الحصول على حق العودة إلى أراضيهم وممتلكاتهم التي طُرِدوا وهُجِّروا منها بقوة الإرهاب الصهيوني الغربي البريطاني؟!

لم ينته الوجود اليهودي المشرقي في القرن الأول والثاني الميلادي، إنما الذي انتهى وإلى الأبد فعلاً، ومع حضور المسيحية، الفهم الذاتي البدائي العنصري للاهوت اليهودي الانعزالي القائل بيهودية فلسطين والقدس وشعبها الخاص المختار، وفلسطين مهد الديانات السماوية التي اعتنقها أهلها جميعاً، فبقيت فلسطين المشرقية بيهوديتها ومسيحيتها وإسلامها، وحتى في وثنيتها، أرضاً فلسطينية عربية. يذكر الدكتور أحمد سوسة في كتابه (العرب واليهود في التاريخ):

(إن بدوي الجزيرة العربية الرقيق الحساس المجبول على الفطرة والخيال الذهني والتعلق الروحي، لم تعد نفسيته تتحمل عبادة الأصنام، فقد كان عرب الجزيرة آنذاك في صراع نفسي وديني شديد الحساسية بين الوثنية من جهة وبين اليهودية والمسيحية اللتين تدعوان إلى التوحيد من جهة أخرى. وقد كان دين إبراهيم الخليل (صلى الله عليه وسلم) معروفاً في الجزيرة العربية عند

الحنفاء قبل اليهودية والمسيحية، كما يخبرنا القرآن الكريم «مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيّاً وَلاَ نَصْرَانِيّاً وَلَكِن كَانَ حَنِيفاً مُّسْلِماً وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ[1]»[2].

وقد استمرت الحساسية حتى نزول الوحي على النبي محمد (صلى الله علبه وسلم، حامل رسالة الإسلام إتماماً لرسالة إبراهيم الخليل (صلى الله علبه وسلم)، فتقبلتها الجموع بحماس بالغ وإيمان عميق. وإن الأنبياء والرسل يظهرون بوحي من الله في مثل هذه الظروف، التي كانت سائدة في أرض الجزيرة العربية، والتي تكون فيها الجموع أشد ما تكون بحاجة لمن يهديها إلى الصراط المستقيم. وفي ذلك يقول العالم الألماني ديتليف نيلسن: (لا يوجد دين من الأديان قدر الله له النجاح في القضاء على الوثنية كما قدر للإسلام).

ومما يدل على صحة القول من بقاء بعض القبائل العربية المتهودة في مواطنها، بينما مال البعض منها إلى الإسلام متحولاً عن يهوديته محتفظاً ببعض عاداته وتقاليده الموروثة عن اليهودية، وفي منطقة حجازية مهمة من جزيرة العرب. ويفيد الرحالة دوتي الذي ارتاد الجزيرة العربية سنة 1875م: (كانت قرية في نواحي خيبر أهلها مسلمون، ولكنهم لا يزالون يحافظون على بعض التقاليد والتعاليم اليهودية، ولا يخالطون غيرهم من القبائل المجاورة)[3].

الجدير بالذكر أن الرواية التوراتية تشير إلى النبي سليمان (صلى الله علبه وسلم) بالكثير من الموبقات والآثام المدّعاة بالعودة للوثنية والارتداد عن عبادة الإله الواحد. إنه ادّعاء لا يخلو من التعبير عن الميول العصبوية الانطوائية على الذات للقبيلة العبرية، تطالب التوراة بتطبيقها على الأنبياء والحكماء من بني إسراءيل. هي بالطبع ادعاءات باطلة ترفضها الروايتين الإنجيلية والقرآنية:

(۞وَأَحَبَّ الْمَلِكُ سُلَيْمَانُ نِسَاءً غَرِيبَةً كَثِيرَةً مَعَ بِنْتِ فِرْعَوْنَ: مُوآبِيَّاتٍ وَعَمُّونِيَّاتٍ وَأَدُومِيَّاتٍ وَصَيْدُونِيَّاتٍ وَحِثِّيَّاتٍ ۞مِنَ الأُمَمِ الَّذِينَ قَالَ عَنْهُمُ الرَّبُّ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ: [لاَ تَدْخُلُونَ إِلَيْهِمْ وَهُمْ لاَ يَدْخُلُونَ إِلَيْكُمْ، لأَنَّهُمْ يُمِيلُونَ قُلُوبَكُمْ وَرَاءَ آلِهَتِهِمْ]. فَالْتَصَقَ سُلَيْمَانُ بِهَؤُلاَءِ بِالْمَحَبَّةِ. ۞وَكَانَتْ لَهُ سَبْعُ مِئَةٍ مِنَ النِّسَاءِ السَّيِّدَاتِ، وَثَلاَثُ مِئَةٍ مِنَ السَّرَارِيِّ. فَأَمَالَتْ نِسَاؤُهُ قَلْبَهُ. ۞وَكَانَ فِي زَمَانِ شَيْخُوخَةِ سُلَيْمَانَ أَنَّ نِسَاءَهُ أَمَلْنَ قَلْبَهُ وَرَاءَ آلِهَةٍ أُخْرَى، وَلَمْ يَكُنْ قَلْبُهُ

١- القرآن الكريم سورة آل عمران الآية 67.
٢- د. أحمد سوسة - العرب واليهود في التاريخ ص 692.
٣- العرب واليهود في التاريخ من كتاب الصحراء العربية ص 129.

كَامِلاً مَعَ الرَّبِّ إِلَهِهِ كَقَلْبِ دَاوُدَ أَبِيهِ. ۞فَذَهَبَ سُلَيْمَانُ وَرَاءَ عَشْتُورَثَ إِلَهَةِ الصَّيْدُونِيِّينَ وَمَلْكُومَ رِجْسِ الْعَمُّونِيِّينَ. ۞وَعَمِلَ سُلَيْمَانُ الشَّرَّ فِي عَيْنَيِ الرَّبِّ، وَلَمْ يَتْبَعِ الرَّبَّ تَمَاماً كَدَاوُدَ أَبِيهِ. ۞حِينَئِذٍ بَنَى سُلَيْمَانُ مُرْتَفَعَةً لِكَمُوشَ رِجْسِ الْمُوآبِيِّينَ عَلَى الْجَبَلِ الَّذِي تُجَاهَ أُورُشَلِيمَ، وَلِمُولَكَ رِجْسِ بَنِي عَمُّونَ.)[1]

هناك إشارة مهمة من العهد القديم تعتبر ضمن هذه الرواية الأنبياء داود وسليمان ملوكاً ولا تعترف بهم كأنبياء!

بهذا الزعم اللاهوتي الخاطئ تماماً بحق الأنبياء من قبل قتلة الأنبياء ترمى أسباب انهيار الكيانين اليهوديين في السامرة ويهوذا على كاهل النبي سليمان، متجاهلة حقائق التاريخ والجغرافيا والتطور المجتمعي للبلاد الفلسطينية، لتنسب هذه التطورات الحتمية إلى اللاهوت والأصولية العبرانية والعقوبة الإلهية، على الرغم من ذلك تعود الرواية نفسها للتناقض مع ذاتها بقولها على كل الملوك الذين ورثوا سليمان، الذين تجاوزوا العشرة (...فَعَلَ الشَّرَّ فِي عَيْنَيِ الرَّبِّ)[2]. ونسبت هذا الفعل لأسباب انهيار المملكتين وعقوبة السبي (الجلاء إلى بابل) بدعوى الاختلاط بالشعوب الأخرى التي عاشوا بينها، في خلط فاضح كما ذكرت بين الادّعاء اللاهوتي وحقيقة التاريخ!

الأسباب الموضوعية التاريخية والجغرافية التي تقتضي لليهود وبني إسراءيل بأنهم لم ولن يكونوا دولة أو شعباً واحداً متجانساً يستند إلى مذهبٍ أو ديانةٍ لا توشك أن تغير وتتغير في مفاهيمها ومقوماتها ولاهوتها. وهي منغلقة على ذاتها ومعتنقيها، في مواجهة أديان توحيدية أخرى وأمم تعيش بينها، لتعتبر نفسها في مواجهة هذه الأديان المتعددة والأمم الأخرى (شعب الرب) و (شعب الله المختار)، وغيرهم من الأمم (الأغيار، الغويم، الخاسوت) خلقت لتكون لهم خدماً وعبيداً وسبايا أبد الدهر، كما ورد في سفر الخروج. لقد تنبأ النبي موسى بالردة لهذه الجماعة الشريرة المرتدة عن ديانته التوحيدية والمتذمرة على الله ونبيه والذهاب وراء آلهة أخرى شعبية محلية (۞وَكَانَ الشَّعْبُ كَأَنَّهُمْ يَشْتَكُونَ شَرّاً فِي أُذُنَيِ الرَّبِّ. وَسَمِعَ الرَّبُّ فَحَمِيَ غَضَبُهُ فَاشْتَعَلَتْ فِيهِمْ نَارُ الرَّبِّ وَأَحْرَقَتْ فِي طَرَفِ الْمَحَلَّةِ. ۞فَصَرَخَ الشَّعْبُ إِلى مُوسَى فَصَلَّى مُوسَى إِلى الرَّبِّ فَخَمَدَتِ النَّارُ. ... ... ۞فَلَمَّا سَمِعَ مُوسَى الشَّعْبَ يَبْكُونَ بِعَشَائِرِهِمْ كُلُّ وَاحِدٍ فِي بَابِ خَيْمَتِهِ وَحَمِيَ غَضَبُ الرَّبِّ جِدّاً سَاءَ ذَلِكَ فِي عَيْنَيْ مُوسَى. ۞فَقَالَ مُوسَى لِلرَّبِّ: «لِمَاذَا أَسَأْتَ إِلى عَبْدِكَ وَلِمَاذَا لَمْ أَجِدْ نِعْمَةً فِي عَيْنَيْكَ حَتَّى أَنَّكَ وَضَعْتَ ثِقْلَ جَمِيعِ هَذَا الشَّعْبِ عَلَيَّ؟... ... ۞لا أَقْدِرُ أَنَا وَحْدِي أَنْ أَحْمِلَ

١- العهد القديم سفر الملوك الأول 11: 1-7.

٢- العهد القديم سفر العدد 32: 13.

جَمِيعَ هَذَا الشَّعْبِ لأَنَّهُ ثَقِيلٌ عَلَيَّ. ۞فَإِنْ كُنْتَ تَفْعَلُ بِي هَكَذَا فَاقْتُلْنِي قَتْلاً إِنْ وَجَدْتُ نِعْمَةً فِي عَيْنَيْكَ فَلا أَرَى بَلِيَّتِي»)[1]

و جاء في سفر العدد أيضاً: (۞وَقَالَ الرَّبُّ لِمُوسَى وَهَارُونَ: ۞حَتَّى مَتَى أَغْفِرُ لِهَذِهِ الجَمَاعَةِ الشِّرِّيرَةِ المُتَذَمِّرَةِ عَلَيَّ؟ قَدْ سَمِعْتُ تَذَمُّرَ بَنِي إِسْرَائِيلَ الذِي يَتَذَمَّرُونَهُ عَلَيَّ. ۞قُلْ لَهُمْ: حَيٌّ أَنَا يَقُولُ الرَّبُّ لأَفْعَلَنَّ بِكُمْ كَمَا تَكَلَّمْتُمْ فِي أُذُنَيَّ. ۞فِي هَذَا القَفْرِ تَسْقُطُ جُثَثُكُمْ جَمِيعُ المَعْدُودِينَ مِنْكُمْ حَسَبَ عَدَدِكُمْ مِنِ ابْنِ عِشْرِينَ سَنَةً فَصَاعِداً الذِينَ تَذَمَّرُوا عَلَيَّ.)[2].

وفي تثنية الاشتراع: (۞انْظُرْ! أَنَا وَاضِعٌ أَمَامَكُمُ اليَوْمَ بَرَكَةً وَلَعْنَةً. ۞البَرَكَةُ إِذَا سَمِعْتُمْ لِوَصَايَا الرَّبِّ إِلهِكُمُ التِي أَنَا أُوصِيكُمْ بِهَا اليَوْمَ. ۞وَاللَّعْنَةُ إِذَا لَمْ تَسْمَعُوا لِوَصَايَا الرَّبِّ إِلهِكُمْ وَزُغْتُمْ عَنِ الطَّرِيقِ التِي أَنَا أُوصِيكُمْ بِهَا اليَوْمَ لِتَذْهَبُوا وَرَاءَ آلِهَةٍ أُخْرَى لَمْ تَعْرِفُوهَا)[3]

تذكّر التواريخ والمكتشفات الأثرية والآثار الباقية بالأحداث والتطورات التي طرأت على هذه المنطقة العربية والمشرقية من هجرات وثقافات وديانات مختلفة ومتعددة، لا تزال تشكل إلى يومنا هذا الأسس الأولى لتراث وحضارة المنطقة برمتها، وتشهد على مساهماتها في بناء الحضارة الإنسانية، وعلى تفاعلها الإيجابي مع الحضارات الأخرى المحيطة بها، التي ساكنتها وتعايشت معها، فأخذت منها وأعطتها (الفارسية والإغريقية والرومانية). وشكّل هذا التمازج الحضاري الرائع أساساً متيناً راسخاً من العلوم والمعارف والازدهار والتطور، ساهم بشكل كبير في إثراء الحضارة الإنسانية وتراثها الفكري. والعرب والمشرقيون شأنهم في ذلك شأن الأمم الأخرى، اعتنقوا العديد من المذاهب والديانات، وفي مقدمتها: اليهودية الموسوية والمسيحية الناصرية قبل ظهور رسالة الإسلام المحمدية، فالقبائل العربية اعتنقت بعضها اليهودية في أجزاء من اليمن والحجاز والعراق ومصر وبلاد الشام السورية. من أهم وأعرق القبائل العربية التي اعتنقت المسيحية: المناذرة والغساسنة والكلدان والسريان وقبائل نجران وجيزان، وغيرهم، من بطون القبائل العربية، لم يغيّر فيهم اعتناقهم

١- العهد القديم سفر العدد 11: 1-15.
٢- العهد القديم سفر العدد 14: 26-29.
٣- العهد القديم سفر التثنية 11: 26-28.

للمسيحية أو اليهودية من كونهم عرباً، ولم يلغِ هذا الاعتناق للأديان المختلفة من عروبتهم ومشرقيتهم وثقافتهم وانتمائهم لأوطانهم وعاداتهم وتقاليدهم وتراثهم، ولم يشكلوا بهذا الاعتقاد الديني شعباً خاصاً أو شعباً مختاراً، وهم العرب الساميون، شأنهم في ذلك شأن الشعوب والأمم الأخرى باعتناقها لليهودية والمسيحية والإسلام، فبقيت على عاداتها وتقاليدها وهويتها الوطنية والقومية المكتسبة بفعل الانتماء للأرض والتاريخ واللغة والثقافة التي اكتسبتها قبل اعتناقها لأي من الأديان التوحيدية التي لم تغير من هويتها ومواطنها.

- فلماذا سيختلف الأمر هنا مع اليهودية؟! وما هو القاسم المشترك الذي سيجمع بين الخزريين والأوروبيين والأثيوبيين والهنود والأمريكيين والعرب والفرس والروس والأوكرانيين والألمان، وغيرهم من الذين اعتنقوا الديانة اليهودية في حقب مختلفة ومتباعدة فيما بينها تاريخياً؟!

ما الذي يربطهم ويجمعهم بالعبرانيين وبني إسراءيل (يعقوب) (صلى الله عليه وسلم) الآرامي الكنعاني في مولده وثقافته وبيئته؟!

هل هناك قاسم مشترك يبرره العقل ومنطق الأشياء يجمع كل هذه الأمم والشعوب المختلفة في لغاتها، وألوانها، وأعراقها، وثقافاتها، وأنماط معيشتها في دولة يهودية الجنسية، لتشكل شعباً واحداً متجانساً يحمل مقومات البقاء والاستمرار في أرض شعب آخر، لتوصف هذه الدولة بأرض الميعاد لشعب الرب؟ أم هي الصهيونية والعنصرية والتقاء مصالحها المادية مع المصالح الاستعمارية الغربية للرأسمالية المتوحشة الإمبريالية؟!

فالبربر الأفارقة المغاربة الذين انتقلت إليهم اليهودية عبر اختلاطهم باليهود المصريين، أو مع الذين لم يخرجوا من مصر مع موسى (صلى الله عليه وسلم) من بني إسراءيل، أولئك الباقون في مصرهم من نقل هذه الديانة لبلاد المغرب العربي، ومن فيها من المواطنين الذين نقلوا اليهودية بدورهم إلى أسبانيا، حيث شكلت الديانة اليهودية هناك دعوة هدائية وليس ديانة وراثية، وهي حقيقة دعوة موسى التوحيدية قبل تشويهها من قبل المنقلبين على موسى من القبائل المتوحشة العبرانية.

فكيف ستوصف تلك الشعوب المختلفة (بالشعب اليهودي)، وتكون دولة إسرائيل الجديدة أرض ميعاده في رواية إسراءيل التوراتية؟ هذه الرواية التي تعتبر الشعب المختار ابناً للرب!

فإذا أخذنا بالحسبان أن رسالة السيد المسيح ودعوته الهدائية الإنسانية قد ألغت هذا المعتقد العنصري البدائي الوثني، الذي يماثل اعتبار الفرعون ابناً للرب

وأباً للجميع وإلهاً على الأرض، عندئذٍ يصبح استمرار ادّعاء شعب الرب وابن الرب (إسراءيل) مخالفاً لرسالة المسيح وخروجاً عليها، وهو المعتقد الذي تخرج فيه المسيحية المتصهينة على مسيحييها وإيمانها المسيحي لتلقي به في الخانة اليهودية الصهيونية، وفي مشاريع الإمبريالية الاستعمارية الأنجلوساكسونية اللوثرية لإمبراطوريتي الشر البريطانية والأمريكية والرأسمالية اليهودية الربوية الصهيونية.

وبهذا الصدد يعرض الصحافي سعيد هلال الشريقي في جريدة تشرين السورية: (يقول بوب ودوارد أحد المعلقين السياسيين في صحيفة واشنطن بوست في كتابه (خطة الهجوم)، الصادر عام 2004: يعتقد الرئيس بوش أن وصوله إلى البيت الأبيض عام 2000 قد جاء بناءً على تكليف إلهي يأمره بأن يجند كل طاقات بلده العملاقة للقضاء على الأشرار، الذين أشاعوا الخطيئة والطغيان والفساد في العالم، ومن ثم إحلال السلام والرخاء فيه، تمكيناً لإرادة الرب، وصولاً إلى تدشين مملكة السماء. ويؤكد الصحافي ودوارد بأن الموجه الرئيس لسياسات بوش الخارجية يرتكز على عاملين أساسين: الأحلام التي يعتقد بأنه يراها أثناء نومه من وقت إلى آخر حاملة رسائل وتكليفات إلهية، والتعاليم الصارمة التي تأمره بها الكنيسة البروتستانتية الإنجيلية من خلال أكثر مللها تطرفاً المتمثلة بالمسيحية المتصهينة التي تنفرد عن باقي جميع كنائس العالم بانتهاجها تعاليم العهد القديم (التوراة) بكل ما تحمله من كره للبشرية وتعصب أعمى لشعبين مختارين حسب هؤلاء هم (بنو إسرائيل والأمريكيون البيض المنحدرون من العرق الأنجلوساكسوني حصراً. ويرى الكاتب الفرنسي شارل سان برو أن المشروع الأمريكي للعالم يستند إلى القوة العسكرية الضاربة إلى منظومة دينية فكرية ثقافية إعلامية متكاملة، لا تقل تأثيراً وفتكاً بالشعوب المستهدفة عن جبروت الآلة العسكرية المنتشرة في كل أرجاء المعمورة. ويرى أن نحو مئة ألف مبشر إنجيلي أمريكي قد تم نشرهم عبر العالم، القسم الأكبر منتشر في العالم العربي والإسلامي، تحت صفات مختلفة: رهبان أو أطباء وممرضات بلا حدود تدعمهم العديد من الجهات الرسمية الكبرى وتمدهم بالأموال الطائلة كالكونغرس ووزارتي الخارجية والدفاع، وترعى شؤونهم وكالة الاستخبارات المركزية، مهمتهم الرئيسة التغلغل في أوساط الجاليات المسيحية الشرقية بهدف حرفهم عن دياناتهم الأصلية وتجنيدهم في المعتقد الأمريكي الجديد عن طريق العديد من المغريات المتاحة تتناسب مع طبيعة كل بلد وشعب، بدءاً بتقديم الأموال وتسهيل الدراسة للشبان في الغرب على حساب جمعيات خيرية تابعة لهم، وانتهاءً بتسهيل

منح تأشيرات دخول للولايات المتحدة بعد اجتياز العديد من اختبارات الولاء للدين الجديد)[1].

كيف تدعي المسيحية المتصهينة مسيحيتها وإيمانها بالمسيح المخلص، وهي التي ترفع شعار (إسرائيل مملكة الرب الأرضية) وللمسيح مملكة الرب السماوية، في وقت جاء المسيح فيه ليعلن رفضه للمادية والمملكة الأرضية من خلال إنجيله المقدس الذي يقلب الرواية التوراتية رأساً على عقب، لا سيما مفهوم (أبناء الله) وأبناء الشعب المختار الذين استبدلهم الإله الواحد بأبناء (القيامة) المؤمنين بالمسيح وقيامه مخلصاً ومصوباً ومشرعاً (بالعهد الجديد)؟!

نعثر في مزامير داود 2: 7 على معنى مجازي مؤكد يشير إلى ما قد يكون رعاية وتبنٍّ وحماية: (...قَالَ لِي: أَنْتَ ابْنِي. أَنَا الْيَوْمَ وَلَدْتُكَ). وهذا بالطبع لا يعني التبني بالولادة، ولا حرفية لولادة جنسية. في إنجيل لوقا يثبت فيه لوقا نسب المسيح حيث يقول إن آدم هو ابن الله، وهي إشارة مجازية أيضاً إلى أن الله خلق آدم، ثم نعود لنقرأ في رؤيا يوحنا 21: 7: (مَنْ يَغْلِبْ يَرِثْ كُلَّ شَيْءٍ، وَأَكُونُ لَهُ إِلَهاً وَهُوَ يَكُونُ لِيَ ابْناً)؛ وفي متى 5: 9 وعلى لسان السيد المسيح: (طُوبَى لِصَانِعِي السَّلاَمِ لأَنَّهُمْ أَبْنَاءَ اللَّهِ يُدْعَوْنَ)؛ وفي لوقا 20: 36 (...وَهُمْ أَبْنَاءُ اللهِ إِذْ هُمْ أَبْنَاءُ الْقِيَامَةِ)؛ وفي متى 5: 5 (طُوبَى لِلْوُدَعَاءِ لأَنَّهُمْ يَرِثُونَ الأَرْضَ).

فأي وراثة تلك ليهود العالم بقيام دولة لهم على أرض فلسطين وما حولها بعد كل ما جاء به السيد المسيح (صلى الله علبه وسلم)؟

ومن صحيفة المدار العراقية، العدد 220 السبت 2008/4/26، مقالة بعنوان المحافظون الجدد إعداد شادي قحوش، أقتطف ما يفيد بهذا الشأن: «(...إِنَّ كَثِيرِينَ سَيَأْتُونَ مِنَ الْمَشَارِقِ وَالْمَغَارِبِ وَيَتَّكِئُونَ مَعَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحاقَ وَيَعْقُوبَ فِي مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ وَأَمَّا بَنُو الْمَلَكُوتِ[2] فَيُطْرَحُونَ إِلَى

١- سعيد هلال الشريفي: جريدة تشرين السورية العدد 10165- تاريخ 2008/4/28 زاوية (أوراق ثقافية).

٢- (أي اليهود) يفصل المسيح (عليه السلام) بين مملكتي الحساب والآخرة السماوية وبين طالبي المجد الأرضي من اليهود: ملك وسلطان يهودي أرضي دون الإيمان بالقيامة والبعث، حيث تتنكر التوراة لحياة الآخرة والحساب.

الظُّلْمَةِ الْخَارِجِيَّةِ. هُنَاكَ يَكُونُ الْبُكَاءُ وَصَرِيرُ الأَسْنَانِ)[1]. الكنائس الشرقية، البطركيات الأرثوذكسية، روسيا اليونان، قبرص جورجيا وصربيا وروسيا البيضاء وأرمينيا والقبطية المصرية الأرثوذكسية وإنطاكية وسائر المشرق سوريا والعراق والأردن ولبنان والآشورية والسريانية، حافظت هذه الكنائس الشرقية والعربية على موقفها وأصالتها.

طلب هرتزل من البابا بيوس العاشر عام 1903 في زيارته له الموافقة على المشروع الصهيوني بدولة لليهود في فلسطين، لكن البابا رفض ذلك بقوله لهرتزل: (أصبحت القدس مقدسة لعلاقتها بحياة المسيح. ونحن لا نطبق ولا نسمح باستقرار اليهود هناك. واحتجّ هرتزل الصهيوني بعدم بقاء القدس بيد العثمانيين، لكن البابا أصر على رفضه قائلاً: (طالما أن اليهود ينكرون وجود مسيحنا وينتظرون مجيء مسيحهم الذي جاءنا فعلاً، فهم أولى الناس بالاعتراف به، ولكنهم ينكروه حتى يومنا هذا... لماذا الإصرار على القدس؟ لقد دمر هيكلكم إلى الأبد، أم لعلكم تريدون إعادة بنائه، وتقومون بالمذابح وتقديم الضحايا كما اعتدتم أن تفعلوا بالماضي)».

إنها رؤية إيمانية مسيحية بصيرة تبناها البابا بيوس العاشر، عبرت عن عمق روحي ومعرفة تاريخية ولاهوتية لمضمون الرسالة المسيحية التي بشرت بدمار الهيكل، وفي ذلك إنهاء إلهي لعهد قديم جائر طاغٍ مستبد ومستعبد لم يخلف سوى الحروب والضحايا والفتن، التي جاء السيد المسيح مقاوماً ومجاهداً في سبيل وقف جورها وطغيانها وماديتها، حاملاً صليبه وعذاباته ومقاومته ليكون شهيداً ومعلماً ومبشراً بالمحبة والفداء والسلام لكل البشرية.

في حديث مباشر على قناة الدنيا الفضائية مساء 2008/12/31، مع الرئيس السابق للكنائس السورية اللبنانية المشيخانية السيد القسيس معن بيطار، برزت وبشكل مشرف ومشرق أصالة المسيحية الشرقية العربية في موقف شجاع وصادق، ربما لا نجد له مثيلاً في كثير من العلماء وأصحاب الفتوى الإسلامية لما تضمنته أجوبة القسيس معن بيطار من عروبة وإسلامية جهادية عبرت عن الانتماء العميق لنهج المقاومة والممانعة الثورية المسيحية العربية وقواها المناضلة الحية، حيث دعا إلى الوحدة الإسلامية لقطبي إسلام إبراهيم: العيسوية والمحمدية. واعتبر السيد حسن نصر الله مناضلاً ومقاوماً صلباً بقوله: سواء كنت مسلماً سنياً أو شيعياً أو مسيحياً أرثوذكسياً أو كاثوليكياً، فأنت قائد عظيم ومقاوم تقود هذه الأمة نحو النصر. وأعطى مثالاً مشرفاً للسيد المسيح عليه السلام في وقوفه في وجه الملك هيرودس واليهود بإصرار وصمود وجهاد ثبّت به المسيح مبدأ المقاومة والصبر والجهاد، وبأن الروح لخالقها وحده، وأن الشهادة حق وواجب، وبأننا جميعاً مسلمون لله تعالى بسلام ودعوة أبينا إبراهيم (صلى الله عليه وسلم)، وأن الله من يملك الموت والقيامة. واستنكر جهل

١- العهد الجديد إنجيل متى 8: 11-12.

بعض الكنائس الغربية باعتناقها للمسيحية المتصهينة، وتحدث عمّا قام به اليهود من إفساد للمسيحية واختراق لها سنين طويلة، ومحاربتها وتضليل الكثير من الرهبان ورجال الدين تحقيقاً لأطماعهم ودعواتهم الشريرة. ودعا بعض العرب للعودة إلى ضمائرهم وعروبتهم بدعم المقاومة ووقف الانحناء والتبعية وسطوة الحكم والجاه، والرجوع إلى ضمائرهم وإسلامهم الصحيح ووحدتهم.

لا زلنا في بحثنا عن حقيقة ادّعاء الصهيونية في القرن السابع الميلادي حول الخزر ومملكة خازاريا على ضفاف نهر الفولغا، الذين ارتحلوا إلى أنحاء مختلفة من أوروبا الشرقية والغربية، حاملين معهم ديانتهم المعتنقة بعد الوثنية (اليهودية) شعباً يهودياً أو سامياً ليمتلك حق العودة من الشتات إلى أرض ينتمون إليها على أرض فلسطين وجوارها أسموها (أرض الميعاد) المزعومة، وهم الشعوب المختلفة بأعراقها ولغاتها ومواطنها وثقافاتها!

ماذا لو تم تهويد مليار من البشر ذوي المواطن المختلفة حول العالم؟ هل سيصبحون تلقائياً شعباً يهودياً يسمي نفسه شعب الرب، ليعود لموطنه الجديد ويشكل دولة في (أرض الميعاد الكتابية)؟!

أولئك غرباء عن أرض فلسطين التاريخية، يشملهم قانون العودة الصهيوني، بينما يحرم هذا الكيان الصهيوني السكان الشرعيين للأرض الفلسطينية من حقهم بالعودة لأراضيهم وممتلكاتهم بعد أن طردوا منها بقوة الإرهاب اليهودي الغربي العنصري والاستعماري في عام 1948!

إن فلسطين للفلسطينيين، سواء أكانوا يهوداً أو مسيحيين أو مسلمين، وحدهم يملكون حق المواطنة والإقامة فيها، ووحدهم أيضاً يشكلون شعباً ومستقبلاً، لا حلول سلمية ولا سلاماً عادلاً يحمل مقومات صموده واستمراره دون تحقيق حق العودة إلى أرض فلسطين التاريخية. إنه الحل الوحيد الذي سوف يؤسس للسلام العادل والشامل والدائم، والذي يجب أن يعتمد أساساً لأي مبادرة أو حل سياسي شامل.

إن علاقة يهود العالم بفلسطين والقدس هي العلاقة ذاتها التي تربط مسيحيي العالم بكنيسة القيامة وكنيسة المهد في بيت لحم ومزارات الناصرة، تماماً كما هي علاقة مسلمي العالم ببيت المقدس ومكة المكرمة والمدينة المنورة، حيث المسجد النبوي الشريف وبيت الله الحرام، فلا أحد يمتلك عقلاً وفكراً سليماً يشرع أو يتبنى قيام وطن مسيحي في فلسطين لمسيحيي العالم، ولا أن تكون مكة المكرمة وطناً قومياً لكل مسلمي العالم أيضاً!

يذكر المؤرخون في أقدم المعلومات التي وصلت عن الرحالة العربي ابن فضلان، السفير الموفد من الخليفة العباسي المقتدر بالله سنة (921م-309هـ) إلى ملك البلغار، أنه في طريق عودته مرّ بمملكة الخزر وعاصمتها (أتيل)، ووصف ما شاهده في تلك البلاد، قال: (الخزر اسم المملكة وأتيل العاصمة). وقال إنها

قطعتان: واحدة على غربي النهر المسمى أتل، وهي أكبرها؛ وقطعة على شرقه. والملك يسكن القطعة الغربية مقدارها في طول نحو فرسخ ويحيط بها سور... وملكهم يهودي، ويقال إن من حاشيته نحو أربعة آلاف رجل... والخزر كلهم يهود. وكان الصقالبة وكل من يجاورهم في طاعته، ويخاطبهم بالعبودية، ويدينون له بالطاعة.. والمهم هنا تأكيد ابن فضلان أن الملك وخاصته كانوا يهوداً (الغالب على أخلاقهم أخلاق أهل الأوثان)[1]

وذكر المسعودي أن الكثير من اليهود الذين خرجوا من الإمبراطورية الرومانية جاؤوا إلى الخزر بعد اضطهادهم في عهد الإمبراطور رومانوس. وكانت اليهودية آنذاك هي السائدة في الخزر. آلان الخانقان والوالي وأمير سمندر في داغستان الذي يمت بصلة قربى لهذا الأمير وكبار العمال، كانوا جميعهم على اليهودية، مع أن اليهود كانوا أقل من المسلمين والنصارى من حيث العدد)[2]. ويشير الدكتور أحمد سوسة في أحد بحوثه إلى يهود الخزر، بصدور كتاب للكاتب الأمريكي جون بيتي، يتناول فيه خطورة يهود الخزر على أمريكا، وتحت عنوان (الستار الحديدي حول أمريكا)، يلخص بعضاً مما جاء فيه: (صبّ الكاتب جام غضبه على يهود الخزر، إذ اعتبرهم دون يهود العالم الآخرين سبب المشاكل التي انهالت على أمريكا بوجودهم فيها، وذلك على أساس أن يهود الخزر دون بقية يهود العالم كانوا ولا يزالون متعصبين تعصباً أعمى للصهيونية اليهودية، إذ لم يسمح رجال الدين في وسطهم أن يتحرروا من الطوق الانعزالي الذي يعيشون فيه، لذلك فهو يحذر المسؤولين من العواقب الوخيمة في تأثير نفوذهم في سياسة الولايات المتحدة الأمريكية إلى وجوب تدارك الأمر قبل أن تتدهور مصالح أمريكا إلى الحضيض وتحل الكارثة، ويهيب بالمواطنين الأمريكيين المخلصين المتمسكين بالقيم الأمريكية وهم الأكثرية في البلاد، أن يتعاونوا على دفع الخطر، فيحافظوا على سياسة الدولة ونفوذها في أنحاء العالم ضمن إطار الحضارة المسيحية، وذلك بتغيير السياسة التي تسير عليها الولايات المتحدة حالياً بتأثير مخططات اليهود (يهود الخزر بوجه خاص) ونفوذهم.

وهذا لا يتم إلا بتطهير واسع في جهاز الدولة وتبديل البعثات الدبلوماسية إلى البلدان الإسلامية. ويقول المؤلف إن الدافع الذي حمله إلى وضع كتاب هو (تقديم معلومات مركزة عن المشاكل التي خلفتها فئة قليلة) تحمل مبادئ تتنافى وتقاليدنا. وهي مندفعة بحماس لتحقيق أهداف تهدد مصالحنا، ما يؤدي إلى دمار

١- ياقوت الحموي: معجم البلدان - الطبعة الأوروبية -440- ص 436: مادة الخزر.

2- DN.DUNLOP (THE JEWISH KHAZARS) N.Y1967 (SCHOCKEBBOOK)
اليهود الخزر بالتصرف عن أحمد سوسة.

بإثارة حرب عالمية ثالثة. وقد طبع هذا الكتاب لأول مرة سنة 1951، فحاز على شهرة واسعة حتى طبع خمس عشرة مرة بين 1951-1956. وقد أعدت دار نشر للجامعيين في لبنان ملخصاً للكتاب باللغة العربية وتحت عنوان (الصهيونية لعبتها أمريكا)[1].

ما لخصه الدكتور أحمد سوسة من كتاب الكاتب الأمريكي جون بيتي يعبر بصدق عن رؤية مواطن أمريكي مسيحي التربية أصيل يعتز بوطنه ومسيحيته الصادقة، ويميز بوضوح شديد بين مصالح بلاده وشعبه وبين مصالح الصهيونية العالمية الساعية لتخريب العالم والديانة المسيحية، بالسيطرة فكراً وسياسة ولاهوتاً واقتصاداً وثقافةً. وما عبّر عنه الكاتب الأمريكي بيتي يذكرنا بأولئك القادة الصهاينة المؤسسين للفكر والعقيدة الصهيونية الحديثة ولقيام الدولة اليهودية الصهيونية، الذين حرّكوا وصنعوا كل الأحداث السياسية التي جرت بين الحربين العالميتين الأولى والثانية، وما نجم عن هذه الحروب من فتن ومجازر وتقسيمات جديدة واحتلالات استعمارية، وصولاً إلى مذابح الأرمن وتهجيرهم، والمحرقة النازية، وقرار الحكومة الاستعمارية البريطانية، بإشادة وطن قومي لليهود في فلسطين من خلال تنفيذ وعد بلفور اللوثري المشؤوم، وتآمر الإدارات الأمريكية المتعاقبة بالدس والتحريض لفرض الحصار على شعب العراق، إلى التخطيط والتحريض والضغط على إدارة بوش الصغير في حروبه الحمقاء على كل من أفغانستان والعراق وفلسطين ولبنان والسودان والصومال، وأخيراً باكستان، مع محاولات إشعال نار الحرب بين الجارتين النوويتين باكستان والهند، أولئك القادة الصهاينة من يهود الخزر وبقايا مملكة خازاريا في أوروبا الشرقية والغربية من مجرمي الحرب اليهود القادة للكيان الصهيوني ومؤسسيه، هرتزل، وايزمان، إحداعام، جانبوتسكي، بن غوريون، جولدامايز، روتشيلد، أشكول، مناحيم بيغن، شامير، نتنياهو، شيمون بيريز، شارون، أولمرت، ليبرمان، تسيبي ليفني، وجميعهم ينحدرون من الأصول الخازارية والأوروبية الشرقية من اليهود الروس والبولنديين والأوكرانيين والألمان والنمساويين الأيديش والسلاف والتشيك والبلغار، الذين اعتنق أجدادهم اليهودية في مطلع القرن السابع الميلادي، وتحول أسلافهم من الوثنية لليهودية، ويدعون زوراً الانتماء للسامية أو لبني إسراءيل. أولئك الغرباء عن المنطقة برمتها لا تربطهم أي رابطة عرقية إثنية ببني إسراءيل والنبي موسى، الذين سماهم قدماء المصريين (الخاسوت)، وهم بدورهم سمّوا الشعوب الأخرى المعتنقة للديانات غير اليهودية (الغويم). هؤلاء الغرباء عن فلسطين والمنطقة من (الخاسوت والغويم) سكان البلاد الأجنبية، هم في الواقع من يدير حرباً عنصرية إرهابية بحق سكان فلسطين الشرعيين، ويعملون على

1- JOHN BEATY (THE IRON CURTAIN OVER AMERICA-DALLAS TEXAS-II-1956(2).

ترحيلهم وإبادتهم، كما نرى في حربهم العدوانية على قطاع غزة. يقول المؤرخ والباحث في مجال الآثار الروسي ليف غوميليوف في كتابه القيّم (اكتشاف خازاريا مملكة الخزر): (إن القارئ المثقف تاريخياً يعرف أن الخزريين كانوا شعباً عاش في أسافل نهر الفولغا وأدان باليهودية. وفي العام 965م انتصر عليه سيفاتوسلاف إيغوروفتش أمير كييف، والقارئ - مؤرخ أو عالم متخصص في الآثار - يطرح كثيراً من الأسئلة: ما أصل الخزر؟ وما اللغة التي يتكلمون بها؟ لِمَ لم يسلم أحفادهم؟ وبأي طريقة استطاعوا أن يدينون باليهودية؟ والأكثر والأهم هو كيف تعامل الشعب الخزري نفسه بعضهم مع بعض ومع البلاد التي سكنها، والمملكة الخزرية الهائلة التي شملت تقريباً كل جنوب شرق أوروبا وسكنها كثير من الشعوب؟

كان في عداد رعايا الملك الخزري البلغار والكامسك، والبورتاسيون والسوفاريون والموردوف والتثرمسيون والفانشسيون والشماليون والسلاف، والمروج (الصقالبة). ومن الشرق جاوزت هذه المملكة الخوارزم، أي إنها سيطرت على مانفييثلاك و أوسيتيازي، وعلى كل سهوب الأورال الجنوبي؛ ومن الجنوب كانت (دربنت) المدينة الحدودية المشهورة بسورها الذي فصل القفقاس عن الممتلكات الخزرية؛ ومن الغرب كل القفقاس الشمالي والكروم السهبية وسهوب البحر الأسود حتى نهر الرينستر. وخضعت الكاربات لمملكة الخزر على الرغم من أن سكانها قطعاً ليسوا خزراً والآلان والكوسينج (الشركس) والبتشينيغ والمجريين الذين لم ينزحوا إلى أرضهم الحالية)[1].

من مقدمة المؤرخ غوميليوف نعلم كيف شملت مملكة خازاريا الهائلة كل جنوب شرق أوروبا الشرقية وجزء من آسيا، وكيف شكلت تلك الشعوب المختلفة رعايا للمملكة الخزرية من البحر الأسود ومحيطه، بما في ذلك الجزء الشمالي من تركيا الحالية إلى محيط بحيرة قزوين (بحر الخزر) ووصولاً إلى السلافيين وأطراف القفقاس وكل أوسيتيا، كانت هذه الشعوب تحت سيطرة هذه المملكة القوية التي اعتنقت الديانة اليهودية، وبقيت قروناً طويلة تخضع الشعوب المختلفة لسطوتها وسلطتها إلى أن انتصر عليها أمير كييف الروسي عام 965م.

ويظهر هنا سؤال ذو أهمية: إذا كان يهود بني إسراءيل اعتبروا غير الإسراءيليين عرقاً أجنبياً (غويم وأغيار) بزعم كتبة الرواية التوراتية، وعليه لم تسمح الشريعة والسلطة اللاهوتية الصارمة الاختلاط بالشعوب الأخرى أو الدخول إليهم، ادّعى ما سمي بحكماء وأنبياء اليهود المتأخرين أن غضب الرب

١- ليف غوميليوف: اكتشاف خازاريا، بلاد الخزر ص 53-54.

على بني إسراءيل ناجم عن اختلاطهم بهذه الشعوب وتعاونهم معها، وهم أبناء المنطقة التي دخلوا إليها من الكنعانيين والعمونيين والمؤابيين والأدوميين واليبوسيين والحثيين والمصريين، وساكنهم بنو إسراءيل حسب ما ذكرته الرواية التوراتية، فكيف سمحت هذه القوانين والمعتقدات الصارمة العنصرية اللاهوتية بدخول الوثنيين الخزريين والترك والبلغار والسلاف، وغيرهم، في الجماعة اليهودية ليصبحوا (ساميين) ينتمون إلى (شعب الرب) من بني إسراءيل الشعب المختار، ليعودوا من الشتات إلى (أرض الميعاد التوراتية)؟

كان ذلك مستحيلاً في البدايات، لأن الجماعة العبرية اعتبرت اليهودية ديانة وراثية وليست ديانة هدائية، وإلا لكانت جميع الشعوب التي ساكنها اليهود العبرانيين إسراءيلية. ما هي المبررات التي ابتدعتها الحركة الصهيونية العالمية في القرن التاسع عشر، وبررت فيها هذا التغير الجوهري في الانتماء والعقيدة اليهودية التلمودية الربوية؟ هل هو التحالف الكهنوتي الربوي الرأسمالي الاستعماري الإمبراطوري، الذي تأسس في القرن التاسع عشر عبر تحالف عضوي بين اليهودية والمسيحية المتصهينة للسيطرة على العالم وتطهيره من الكم البشري الفائض للشعوب غير البيضاء الغريبة المتوحشة الهمجية؟

قد يلقي بعض الضوء على هذا الجانب المؤرخ الروسي ليف غوميليوف من خلال ما كتبه بهذا الصدد (الداخلون حديثاً)، ويقصد المتهودين، الذين كانوا يعتبرون (منبوذو وبرص إسراءيل). وفي الواقع، إليكم ما كان في بداية القرن السادس بعد أن ألقى الوجيه مزدك القبض على الشاه قباز: حاول إقامة المساواة في الممتلكات بما فيها النساء، وهذه الثورة (من فوق) أثارت مقاومة عنيفة، وهيجت كل مجموعات السكان بمن فيهم اليهود، الذين كانوا في إيران أكثر من أي مكان آخر. وانقسمت المجموعة البابلية إلى معادين ومناصرين للمزدكيين. الأوائل أجبروا على الهروب إلى بيزنطة (يقصد الكاتب تركيا)، والآخرون صاروا في عداد المضطهدين بعد عام 530م عندما أعدم مزدك شنقاً. وهرب المزدكيّون الناجون إلى القفقاس. عندئذٍ ظهرت في السهب الواسع بين نهري السولاق والتيرك مجموعة اليهود المحافظين على السبت والختان، والناسين لكل الوصايا الأخرى. وعاشوا في وفاق مع الخزر، وخرجوا معهم في الحملات. وفي القرن الثامن استحق أحد الصناديد اليهود لقيامه بمآثر منصب قائد عسكري، واستعاد الطقوس اليهودية وفي ترجمة مؤلفات يهودا بارزيل المؤلف اليهودي من القرن الحادي عشر، ورد هذا الخبر هكذا: (صار الخزر مهتدين حديثاً، ولهم

ملوك مهتدون لليهودية)، إلا أن شيشمان يشير إلى أن كلمة (غير) تعني في التوراة الغريب الذي انضم إلى شعب آخر ونال حقوق القبيلة، أو إنه معنى (مهتدٍ حديثاً) كلمة أدخلت متأخرة. ومن الحكم بحسب المجرى العام للأحداث يكون المعنى القديم في الحالة الراهنة والمفضل، لأن بولان اتبع القرائية وليس التلمودية.، وخلق تعايش اليهود مع الخزر ظروفاً سانحة لهجرة اليهود التلموديين البيزنطيين إلى خازاريا. ويضيف: ولكن هنا يكمن الباعث الأبعد، فالخزر كقبيلة أوراسية يعتبرون النسب للأب، واليهود للأم، لذلك فابن الخزري واليهودية (الأم) يحتفظ بجميع حقوق القبيلة الخزرية، ويمكن قبوله في الجماعة. أما ابن اليهودي والخزرية فكان غريباً بالنسبة لهؤلاء وأولئك. وشكل الأخيرون جماعة صغيرة من كاريزمي القرم تجمع ملامحهم الأنثربولوجية (السلالية) بين الشخصية التركية والشرق أدنوية. أما الأولون فشكلوا جماعة خزرية يهودية من ضمنها السلالة الملكية التركية التي استولت على السلطة في عشرينيات القرن التاسع في خازاريا)[1].

هكذا كان واقع اليهود الخزريين في القرن التاسع للميلاد في بلاد الخزر وأوراسيا وأوروبا الشرقية التي كانت مواطنهم وأراضي اعتناقهم لليهودية كديانة هدائية أممية، فماذا عن العصر الحديث لشعوب تلك المناطق المختلفة والأعراق والألسنة المتعددة، ومع استمالة بعض القوى الاستعمارية للصهيونية العالمية ببروتوكولاتها السرية ومنظماتها الماسونية العالمية، التي سيطرت على مراكز صنع القرار الدولي ومفاصل الحياة الغربية، مالياً ربوياً، وإعلامياً، وثقافياً، وبعقيدة تلمودية سرية خرافية قامت بتوظيفها لها لخدمة مصالحها المادية؟ وكما كتب الكاتب الأمريكي جون بيتي في كتابه الستار الحديدي حول أمريكا، عن التغلغل والسيطرة لليهودية الخزرية خاصةً، من جميع مناحي الحياة الاقتصادية والسياسية والإعلامية، ومراكز صنع القرار للدول الكبرى الاستعمارية والسيطرة على البعثات الدبلوماسية الموجهة للدول العربية والإسلامية. هذه القوى الاستعمارية واللاهوتية المسيطرة هي من صنعت دولة إسرائيل العنصرية اليهودية ومَدَّتها بكل الدعم الدولي، وبكل أسباب البقاء والقوة الطاغية، بما في ذلك المفاعلات والأسلحة النووية (فرنسا وبريطانيا)، التي تهدد كامل المنطقة العربية والإسلامية، وفي المستقبل الأبعد ستهدد كل الشعوب والأمم التي تعتنق المسيحية.

١- ليف غوميليوف: اكتشاف خازاريا، بلاد الخزر ص 253-254.

ولكن هل استطاع أو يستطيع أولئك المستوطنون الغرباء الغربيون الجدد تشكيل وإقامة كيان سياسي واجتماعي متماسك ومتوازن قابل للحياة، ذي مضمون مدني حضاري وإنساني يمكنه البقاء في محيط حضاري تعددي؟ أم أن هذا الكيان الشاذ قد تحول إلى كيان أصولي عنصري يهودي تلمودي شكّل ويشكل مصدراً دائماً للتهديد والتوتر والعنف في المنطقة ليعتبر مجتمعاً تمييزياً متناقضاً مع ذاته، ويحمل جميع التناقضات الفكرية والتراثية واللغوية والعرقية، إضافةً إلى النزعة العسكرية الفاشية التي لا يمكنها أن تؤسس لدولة عصرية متجانسة تكون دولة لجميع مواطنيها وأعراقها المختلفة؟

الأزمات النفسية والتناقضات الفكرية والتآكل الذاتي أصبح واضحاً من خلال ما يكتبه المفكرون والكتاب الإسرائيليون، كالكاتب والمؤرخ البروفيسور في جامعة تل أبيب شلومو زاند مؤلف كتاب (متى وكيف اخترع الشعب اليهودي؟). وفي حوار له مع صحيفة هآرتس الصهيونية يسعى الكاتب في كتابه إلى محاولة إثبات أن اليهود الذين يعيشون في إسرائيل وأماكن أخرى من العالم لا ينحدرون جميعهم من الشعب القديم الذي سكن (مملكة يهوذا) أثناء الفترة الأولى والثانية للهيكل، ذلك أن أصلهم، استناداً إلى ما يقوله (زاند)، هو من شعوب مختلفة من حوض البحر المتوسط والمناطق المجاورة له. وهذا لا ينطبق فقط على يهود شمال أفريقيا، بل ينطبق كذلك على معظم المناطق التي دان أهلها بالوثنية وتحولوا إلى اليهودية، وعلى يهود اليمن (بقايا مملكة حمير) في شبه الجزيرة العربية الذين تحولوا إلى اليهودية في القرن الرابع للميلاد، واليهود الأشكيناز في شرق أوروبا واللاجئين (من مملكة الخزر)، الذين تحولوا إلى اليهودية في القرن الثامن، وبشكل مختلف عن المؤرخين الجدد الذين حاولوا تفحص افتراضات تاريخية صهيونية. لقد حاول أن يثبت أن الشعب اليهودي لم يوجد قط كأمة عرقية (قومية) بأصل معروف، ولكنه مزيج من الألوان ومجموعات بشرية اعتنقت اليهودية في مراحل مختلفة من التاريخ، وقد حاور عدداً من المذاهب الفكرية الصهيونية حول المفهوم الأسطوري الملفق، الذي يعتبر اليهود شعباً قديماً. باعتبار ذلك يعود إلى تفكير عنصري حقيقي. مرت أوقات حين كان أحد ما يجادل في كون اليهود ينتمون إلى شعب من أصول وثنية، فإنه سرعان ما يوصف باعتباره معادياً للسامية بشكل فوري)[1].

أفرد زاند جزءاً مهماً من كتابه في محاولة منطقية وعلمية موفقة ليثبت ما حاولت إثباته في هذا الفصل وفي الفصول السابقة، بما يفيد أن بني إسراءيل

١- شلومو زاند: متى وكيف اخترع الشعب اليهودي؟ عن هآرتس ترجمة سليمان الدباغ - المقدمة - 2008/3/12.

استقوا دياناتهم وعاداتهم ودعواتهم من الأصول الوثنية وثقافاتها المختلفة من شعوب عاشت بينها منذ بروز القبيلة اليعقوبية، بدءاً من اختلاطهم بالكنعانيين الفلسطينيين في حقبة النبي إبراهيم، واختلاطهم أيضاً بالمصريين والبابليين والآشوريين والفرس من خلال قوله المهم: (إن الشعب اليهودي مزيج من الألوان بمجموعات بشرية اعتنقت اليهودية في مراحل مختلفة من التاريخ). وفي إشارته أيضاً ليهود مملكة حمير اليمانية ويهود شمال أفريقيا، ولا سيما من البربر، وإلى يهود مملكة الخزر، يتبنى بذلك السيد زاند ما تبنيته في مقاطع متعددة، هدائية الدعوة الموسوية وأمميتها وكونيتها التي لا يمكن لها أن تكون ديانة خاصة وراثية للقبيلة الإسرائيلية، وهو اتجاه فكري عصري بعيد عن العنصرية والانعزالية. وذهب زاند بعيداً عن ادّعاءات الفكر الصهيوني الظلامي، باعتبار أن الفكرة الصهيونية مفهوم ملفق يقود إلى تفكير عنصري ومنطق متخلف؛ هذا المنطق الذي يجعل من نظام الدولة اليهودية متبنياً لخطاب الأموات اللاهوتي، وبعيداً كل البعد عن الخطاب التقدمي العصري الذي يحاكي الحاضر والمستقبل وحق المواطنة داخل الدولة التي يجب عليها أن تمثل وتتبنى جميع المواطنين المتواجدين الذين يعيشون على أراضيها وتحت سلطة قانونها ورعايتها.

سنرى ما يقوله زاند عن يهود شمال أفريقيا المتهودين في القرن الرابع للميلاد في زمن الوثنية، وتعايش ما تبقى من بني إسراءيل والعموريين والكنعانيين في دلتا النيل المصرية باعتبار اليهودية ديانة كونية هدائية كما أسلفنا، يقول: (إن القدر لم يكن منصفاً مع داهيا الكاهينا زعيمة البربر في جبال الأوراس، رغم أنها كانت تفتخر بيهوديتها، ذلك أننا بصفتنا إسرائيليين فقط قد تنامى إلينا اسم هذه الملكة المحاربة، والتي تمكنت من وقف تقدم الجيش الإسلامي في القرن السابع الميلادي. واستناداً إلى المؤرخ البروفيسور شلومو زاند، فإن مملكة البربر وقبائل محلية أخرى تحولت إلى اليهودية الأسبانية، وهو ما يوضح أن يهود شمال أفريقيا نشؤوا من قبائل متنوعة أصبحت يهودية، وليس من المجتمعات التي خرجت (طردت) من القدس)[1].

أقرأ في كتاب زاند وبموضوعية تفهماً للعقلية الصهيونية التي نشأت في أوروبا كنتيجة لنشاط الحركات القومية الشوفينية التي تنامت هناك مع بدايات الثورة الصناعية العلمية في بدايات القرن التاسع عشر بعد انحسار الدور

١- شلومو زاند: متى وكيف اخترع الشعب اليهودي؟ عن هآرتس ترجمة سليمان الدباغ - المقدمة - 2008/3/12. مع الصحفي في هآرتس الصهيونية أوفري إيلاني.

الرئيس الذي ساهم فيه الإقطاع ورجال الكنيسة والأشراف بالسيطرة السياسية والاقتصادية السلطوية. هذا التحول من المجتمع الزراعي إلى المجتمع الصناعي الرأسمالي دفع إلى بروز الحركات القومية الأوروبية وأسس لبلورة الشخصية القومية للأمة على أسس علمانية وعرقية في آن واحد، كما كان الحال مع النزعة القومية الجرمانية التي قالت بسمو العرق الجرماني على الأعراق الإنسانية الأخرى، والأمة الألمانية المتميزة المتفوقة التي غذتها ادّعاءات (الإنسان الأعلى)، والتي اجتاحت أوروبا وغذت المشاعر العنصرية والفوقية لثقافتها. ومن الأمثلة كتاب بروكس آدمز (قانون الحضارة والانحطاط)، الذي أشار فيه إلى مسألة تأرجح البشرية بين البربرية المتوحشة والحضارة المدنية، مؤكداً في سياق آخر أن البربرية المتوحشة كانت ضرورة حتمية لنشوء الإمبراطوريات الاستعمارية، مع تنامي تبني هذه النظريات العنصرية الاستعلائية في أوروبا، ثم الإعلان عن ظهور الحركة الصهيونية على أسس توراتية تلمودية قديمة استمدت منها أوروبا عنصريتها ووجدت فيه نظاماً مثالياً عنصرياً استعمارياً. وهو المبدأ الذي استندت إليه وتبنته النازية الألمانية الهتلرية، وتعلمت منه ادّعاءاتها الفوقية الاستعلائية. ومن هنا أيضاً تم تبني شعار (الشعب المختار)، والمميز للنازية الألمانية والجماعات الأنجلوساكسونية، التي خلقت الولايات المتحدة الأمريكية (كأرض ميعاد) جديدة لشعب أنجلوساكسوني مختار من قبل الرب على أنقاض وجثث ضحايا السكان الأصليين لقارة أمريكا! ويقول زاند: (فإن وصف اليهود باعتبارهم أمة عزلت نفسها وتتجول في المنافي تجولوا عبر البحار والقارات ووصلوا أخيراً إلى نهاية الأرض، فقد عادوا على شكل مجموعات لوطنهم اليتيم، والذي ليس سوى أسطورة قومية على غرار الحركات القومية في أوروبا التي شهدت عصراً ذهبياً، والتي اخترعت ماضياً بطولياً (على سبيل المثال): اليونان وقبائل التاتينك، كي يثبتوا أنهم موجودون منذ بداية التاريخ. كذلك فإن أولى براعم القومية اليهودية ازدهرت في اتجاه الضوء القوي الذي تشكلت منابعه في مملكة (داود الأسطورية)، في رأي زاند هكذا هي الحقيقة: تم اختراع الشعب اليهودي في مرحلة محددة من القرن التاسع عشر، ذلك أن المثقفين اليهود الذين نشؤوا في ألمانيا متأثرين بالشخصية التراثية للأمة الألمانية، أخذوا على عاتقهم مهمة اختراع شعب عن طريق استعادة الماضي بتوق لخلق شعبٍ يهودي معاصر)[1].

ويشرح زاند أيضاً في معرض حديثه أسطورة الخروج والطرد من الأرض الموعودة ليعتبر - وقد عبّرت عن ذلك في الفصول السابقة - أن قصة الخروج كما وردت في الحكاية الكتابية لا تعدو عن كونها أسطورة، وأن ما سمي

١- شلوموزاند: متى وكيف اخترع الشعب اليهودي؟ عن هآرتس. ترجمة سليمان الصباغ - المقدمة - 2008/3/12 مع الصحفي في هآرتس الصهيونية أوفري إيلاني.

(بالشتات) لليهود لا يعدو كذلك عن كونه أسطورة لم تحدث أبداً، وهي تدخل في مجال (الخيال الجمعي)، أو كما قال فرويد (عودة المكبوت) داخل الخيال الجمعي التي نسبها فرويد أيضاً إلى بدايات عرقية. يقول بهذا الشأن زاند تحت عنوان اختراع مفهوم الشتات (الديسبورا): «بعد أن أجبر اليهود على الخروج من أرضهم استمروا مخلصين لها من خلال تصورهم لها، لم يتوقفوا عن الصلاة بأمل العودة إليها ولمّ الشمل فيها لنيل حريتهم السياسية. وقد شكل هذا مقدمة إعلان استقلال (دولة إسرائيل)». وهذا المقطع الذي يفتتح به زاند الفصل الثالث من كتابه (اختراع الشتات)، ويجادل قائلاً: (إن طرد الشعب اليهودي من أرضه لم يحدث أبداً)، وإن بناء (النموذج المثالي) كان مطلوباً لبناء ذاكرة طويلة الأمد متخيلة أمة وعرقاً مطرداً لتشكل الأساس للاستمرارية المباشرة لشعب الإنجيل (يقصد التوراة) التي سبقتها. ويشرح أنه في إطار التأثير الذي أحدثه المؤرخون الذين تعاملوا مع القضية نفسها في السنوات الحديثة، فإنه من جهته يسعى لإثبات:

(أن قضية خروج الشعب اليهودي هو أسطورة مسيحية أصيلة صورت الأحداث باعتبارها (عقاباً إلهياً طبق على اليهود لأنهم رفضوا البشارة المسيحية). لقد بدأت البحث في دراسات الخروج والطرد من الأرض وأحداثها الأساسية في التاريخ اليهودي مثل (الهولوكوست)، ولكني كنت مدهوشاً لأنني اكتشفت افتقارها لأدب يعبر عنها، والسبب في ذلك أنه لم يكن هناك من طرد للناس من الوطن)[1] [2]. ويجيب زاند عن سؤال الصحافي في هآرتس الذي يتناول مسألة التحول من

١- شلومو زاند: متى وكيف اخترع الشعب اليهودي؟

٢- تتمحور الفكرة الصهيونية بكل تناقضاتها وعصبويتها حول تفسير خاطئ للتاريخ، ذلك من خلال ربطها لهذا التاريخ المدعى، بالتفسير الخاص (اللاهوتي الكتابي) لمعنى اليهودية، وربطها بفلسطين عنوةً، في حين أن المصطلح (يهوذا - يهوديم - ياهو) هو مصطلح آشوري فارسي أخذ به في أزمنة هذه الإمبراطوريات الحاكمة للدلالة المكانية والجغرافية لتواجد معتنقي ديانة (يهوه) (يهوذا) ضمن الكيان السياسي لأراضي تلك الإمبراطوريات السائدة، وبوصفهم أتباع العقيدة اليهودية من بين سكان هذه الإمبراطورية، وهذا لا يعني مطلقاً أن شعوب هذه المنطقة ما بين الفرات والنيل هي شعوب ذات ديانة يهودية.

وفي مصر، وتحديداً (جزيرة الفيلة)، تواجد أتباع الديانة اليهودية من المصريين والأحباش، وغيرهم، وهم خليط من شعوب المنطقة الذين أدانوا باليهودية. هذه الجماعة بَنَت هيكلها هناك وأقامت شعائرها، ولم تكن لهذه الجماعة أي رابطة أو صلة عرقية أو جغرافية أو سياسية ببني إسراءيل (آل يعقوب)، وحيث شكلت هناك اليهودية في الاسكندرية وبرقة وقبرص وصولاً إلى روما (ديانة هدائية) أبعد ما تكون عن الديانة العرقية الوراثية. وكانت علاقة هذه الأقوام بالقدس تماماً كعلاقة المسيحيين الغربيين

الوثنية إلى اليهودية لشعوب مختلفة ليست عبرانية لا تشكل شعباً أو أمة يهودية، لا سيما شعوب شمال أفريقيا والعربية والخزر، التي تحولت فيما بعد بمعظمها إلى الإسلام والمسيحية، فيجيب بقوله: (لقد سألت نفسي عن المجتمعات اليهودية الكبيرة التي ظهرت في أسبانيا، ومن ثم رأيت طارق بن زياد القائد المسلم الفذ الذي غزا أسبانيا، لقد كان بربرياً، وكذلك القسم الأعظم من جنوده، كذلك كانت داهيا الكاهينا ملكة بربرية يهودية، وكانت قد هزمت قبل ذلك بـ (15عاماً). وللحقيقة، فإن العديد من المصادر المسيحية تذكر أن عدداً من غزاة أسبانيا كان من هؤلاء الجنود البربر الذين اعتنقوا اليهودية)[1].

لعل زاند قد زودنا بمعلومات واستنتاجات منطقية تدفع في اتجاه سؤالنا الاستفهامي لهذا الفصل: (هل يشكل يهود العالم شعباً؟).

البربر المغاربة الذين اعتنقوا معظمهم اليهودية كبديل عن الوثنية السائدة وقتها، هل غير اعتناقهم لليهودية من كونهم بربراً مغاربة ومن شمال أفريقيا. لقد تحولوا معظمهم بعد ذلك إلى المسيحية والإسلام، فهل تحولوا من شعب يهودي ليصبحوا شعباً مسلماً أو مسيحياً ولم يعودوا بربراً ومغاربة؟

وهل تحول الحميريون اليمانيون، والحجازيون، والعراقيون، وأهل الشام، الذين اعتنقوا اليهودية، من شعب عربي إلى يهود وشعب يهودي، ثم عادوا عرباً بعد اعتناقهم الإسلام والمسيحية؟ أليسوا عرباً من الوثنية إلى ما بعد اليهودية والإسلام والمسيحية؟

أما بالنسبة ليهود أوروبا الشرقية فيجيب زاند عن سؤال افتراضي حول ما إذا ما كانت فكرة أن أصل اليهود الشرقيين (خزريّون) قد تهدد الكيان

بكنيستي القيامة والمهد، وكما هو الحال اليوم في علاقة المسلمين غير العرب بمكة المكرمة وبيت المقدس.

إن ترديد الأناجيل لعبارة (بكورية اليهودية)، هي إشارات إلى تواجد أتباع اليهودية كديانة في منطقة تعيش فيها أقوام ذات معتقدات ومذاهب مختلفة. ولم يكن هذا الوصف سياسياً، وكذلك لا يشير إلى كيان مستقل أو عرق مميز عن الأعراق الأخرى من أبناء المنطقة.

ولعل تحديد مفهوم خاص إلى (أرض إسرائيل) من منطق الانتماء الديني وتوصيف هذا الدين بالكيان السياسي والهوية بغض النظر عن الانتماء الوطني أو الإثني وحقوق الملكية، هو أكثر ما يجعل من الدعوة الصهيونية دعوة عنصرية ناشزة عن مسيرة التاريخ. وهذا ما يجعل من اليهودية أبعد ما تكون عن رسالة موسى الأممية، ويحولها صهيونياً إلى حركة معادية ومواجهة لكل شعوب وأمم العالم غير اليهودية.

١- شلومو زاند: متى وكيف اخترع الشعب اليهودي؟

الصهيوني، يقول: (كلا، لا أعتقد أن الأسطورة التاريخية للخروج والتجوال هي منبع الشرعية لوجودنا هنا (يقصد في إسرائيل)، ولذلك فأنا لا أمانع بتصديق فكرة أنني خزري في الأصل. أنا لست خائفاً من تقويض وجودنا هنا لأن خصائص دولة إسرائيل لا تعوض إلا بطرائق جدية أكثر بكثير، ذلك أن ما يشكل أساس وجودنا هنا ليس حقوقاً تاريخية أسطورية، إنما أكثر من ذلك بكثير للبدء بتأسيس مجتمع منفتح لكل المواطنين الإسرائيليين). ويؤكد زاند وجوب حل مسألة يهودية الدولة دون الإشارة إليها مباشرة، وضرورة المعالجة الجذرية لهذا الادّعاء التوراتي، بقوله: (هناك درجة من التحريف، فهذه معالجة جينية بيولوجية عرقية، ولكن إسرائيل لم توجد دولة يهودية. وإذا لم تتطور إسرائيل كدولة منفتحة متعددة المجتمعات فسوف نشهد كوسوفو في الجليل)[1].

يعود بنا شلومو زاند إلى ما قاله أبراهام بورغ رئيس الكنيست الإسرائيلي السابق في كتابه (الانتصار على هتلر). ويفيد ما قاله باختصار: (إن التعصب والتشدد والبطش والغطرسة والجرائم المرتكبة بحق مواطني الأراضي العربية المحتلة، إنما هي نابعة بأسبابها الرئيسة من (عدم قدرة العرب من الانتصار علينا (أي على إسرائيل) في ميدان المعركة العسكرية).

ونرى اليوم مدى الشعور بالإحباط والعجز وحالة التفكك السياسي والاجتماعي والتوتر النفسي التي تسود المجتمع الصهيوني وقيادته الفكرية والسياسية والعسكرية نتيجة لما حققته المقاومة الإسلامية اللبنانية وحلفائها أثناء حرب تموز 2006، والتي كانت مدبرةً صهيونياً وأمريكياً وعربياً! ونتيجة لهذه المقاومة في لبنان ومع ما رافقها من مقاومة بطولية في العراق وفلسطين وأفغانستان والصومال، سقطت مشاريع الإدارة الأمريكية الإرهابية التي خططت لتنفيذها في المنطقة العربية والإسلامية، بما سمي (الشرق الأوسط الجديد)، بفعل تحالف قوى المقاومة والممانعة العربية والإسلامية، ولا سيما إذا ما استمر صمود وثبات المقاومة الفلسطينية في معركة قطاع غزة الصامد، واستطاعت المقاومة وجماهيرها الصابرة منع القوات الإسرائيلية من تحقيق أهدافها وأهداف مؤيديها من الأنظمة العربية المتواطئة مع الصهيونية الأمريكية التوراتية وبعض جواسيسها في داخل ما يسمى بالسلطة الوطنية الفلسطينية المتواطئة والمتحالفة مع الصهيونية وبعض أنظمة الحكم العربية لفرض شروط الاستسلام الصهيونية على الأمة وقواها المقاومة.

أختم هذا الفصل بالتمييز بين بني إسراءيل الكتابيين وما بين العبرانيين كجماعة متوحشة ومنبوذة اجتماعياً وشعبياً قبل نزول الوحي والتوراة على موسى (صلى الله عليه وسلم) ولعدة قرون، وبين ما أثبته البروفيسور توماس طمسن في كتابه (الماضي الخرافي التوراة والتاريخ)، حيث يقول: «من غير

١- شلومو زاند: متى وكيف اخترع الشعب اليهودي؟

المفاجئ أن نلقى صعوبة في تحديد هوية أي من هذه الإسرائيليات الكتابية، والمرتبطة كتابياً بشعوب وأمم تاريخية محددة. ثمة عدد من أسماء الشعوب تظهر لأول مرة في نصوص العهد البرونزي. هذه الأسماء تتخذ أيضاً تشكيلة من المعاني على مرّ القرون، على سبيل المثال. على الرغم من أن اسم (العبرانية) الذي يطلق على لغة الكتاب، ينتمي إلى فترة تشكيل (الكتاب)، فإن الاسم (عبرانيون) المستخدم كاسم يدل على (شعب) يعود إلى أبعد من ذلك بكثير، ليشير إلى فئة أو نوع الشخص. تظهر مصطلحات رويت في نصوص سومرية وآشورية، بابلية ومصرية، في أشكال (سئ غاز) وخافيرو وعافيرو. هذه المصطلحات تدل على أفراد أو جماعات لم يكونوا مقبولين ضمن البنى السياسية المقبولة لتحالفات وولاءات الحماية التي كانت تحكم المجتمع، هؤلاء (العبرانيون) كانوا (خارجين عن القانون) أدبياً ورمزياً، وبشكل متطابق إلى حد كبير مع شخصيات أسطورية في القصة، مثل داود في سفري صموئيل الأول والثاني، أو مثل إبراهيم في سفر التكوين الإصحاحين 12-14، حيث يطلق عليهما اسم (العبرانيون)»[1].

١- توماس طمسن: الماضي الخرافي ص 149.